هجرة المكون المسيحي من العراق في العصر الحديث
أسبابها ومعالجتها وكيفية التصدي لها
دراسة علمية تعالج مشكلة في المجتمع العراقي

م.د.صفا غانم إبراهيم (*)

الملخص

تناولت هذه الدراسة موضوع هجرة المكون المسيحي من العراق في العصر الحديث، مسلطة الضوء على الأسباب والعوامل التي أدت إلى هذه الظاهرة، وآثارها الاجتماعية والديموغرافية على المجتمع العراقي. تمثلت الأسباب الرئيسة في تصاعد العنف الطائفي، والهجمات الإرهابية المستهدفة، والتمييز الديني، مما أدى إلى تدهور الوضع الأمني ودفع الكثير من المسيحيين إلى الهجرة بحثًا عن الأمان والاستقرار.

وناقشت الدراسة التغيرات الديموغرافية التي حدثت نتيجة لهذه الهجرة، حيث شهدت المناطق المسيحية التقليدية في العراق تقلصًا كبيرًا في عدد السكان المسيحيين، مما أثر على التركيبة السكانية بشكل عام، وقدمت هذه الدراسة لحل هذه المشكلة من خلال تعزيز الامن والحماية لهذا المكون وتشجيع الحوار بين الأديان وتعزيز التفاهم والتعايش السلمي ممايضمن حقوق هذه الأقليات الدينية والتعاون لمعالجة الازمة بفعالية مما يسهم بتقليل الهجرة المسيحية وتحسين أوضاعهم داخل العراق مما يسهم في تحقيق الاستقرار الاجتماعي وضمان حقوق المواطنين جميعهم.

المقدمة:

شهد المكون المسيحي في العراق تغيرات جذرية خلال العقود الأخيرة، إذ تعرضوا للعديد من الضغوطات الاجتماعية والسياسية والأمنية التي دفعت الكثير من أبنائها إلى الهجرة ويعود تاريخ وجود المسيحين في العراق إلى القرون الأولى للمسيحية، وقد أسهموا بشكل كبير في بناء الحضارة العراقية على مر العصور، ومع ذلك، فقد واجهت هذه الطائفة تحديات متزايدة منذ مطلع

(*) ديوان الوقف السني/ دائرة التعليم الديني والدراسات الاسلامية

Safaghanem92@gmail.com

القرن العشـرين، خاصة بعد الحروب المتتالية والأزمات الاقتصادية والسياسـية التي عصفت بالبلاد وزادت الهجرة بشكل ملحوظ بعد الغزو الأمريكـي للعـراق عام ٢٠٠٣، ومـا تلاه من تصاعد في العنف الطائفي واضطرابات أمنية، مما أدى إلى تقلص عدد المسيحيين بشكل كبير فـي العراق، سـلطت كما الضوء على أسـباب واقع هجرة المسـيحيين من العراق في العصر الحديـث، وتأثيراتهـا علـى الطائفة المسـيحية وعلى المجتمع العراقي ككل.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشـكلة الدراسة في التحقق من أسباب ودوافـع هجرة المكون المسـيحي مـن العراق فـي العصر الحديث، وتأثيراتهـا على التركيبة الديموغرافيـة والاجتماعية الطائفة المسـيحية في البلاد وتسعى الدراسة إلى فهم العوامل التي أدت إلى تزايد هذه الهجرة، بما في ذلك العوامل السياسية، الاقتصادية، الأمنية، والدينية، وكيف أسـهمت في تقليـص عدد المسـيحيين بشـكل كبير، كما تهدف إلى استكشـاف التحديات التي تواجهها الطائفة المسـيحية المتبقية في العراق، وأثار هذه الهجرة علـى الهوية الثقافية والدينية للطائفة، فضلاً عن تحليل الآثار المستقبلية لهذه الهجرة على النسيج الاجتماعي في العراق.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسـة في تسـليط الضوء على قضية المكون المسيحي من العراق، والتي تعد من القضايا ذات التأثير البالغ على المجتمع العراقـي وتركيبته السـكانية، فمن خلال تحليل الأسـباب والدوافـع وراء هذه الهجـرة، يمكن فهـم التأثيرات العميقة التي أحدثتها على الهوية الثقافية والدينية للمسيحيين العراقيين، كما تبرز في تقديم رؤية شـاملة حول الأبعاد الاجتماعية والسياسـية والاقتصادية لهذه الهجرة، والتي قد تسهم في صياغة سياسات وإجراءات تهدف إلى حمايـة حقوق الطوائف الدينية وتعزيز التعايش السـلمي في العراق فضلاً عن ذلك، تسـهم كما فـي توثيق حالـة الطائفة المسـيحية في العراق كجـزء من التاريـخ المعاصر، مما قد يسـاعد الباحثيـن والمختصين في مجالات الدراسـات الدينيـة والاجتماعية على فهـم أعمق لتداعيات هذه الهجرة على المجتمع العراقي بأسره.

اهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسـة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف الرئيسة، وهي:-

- تحليل أسباب ودوافع الهجرة دراسة وتحليل العوامل السياسية، الاقتصادية، الأمنية، والدينية التي دفعت المكون المسـيحي إلـى الهجرة من العراق في العصر الحديث.

- تقييم التأثيـرات الديموغرافية والاجتماعية وفهم تأثيـرات الهجرة على التركيبة السـكانية للطائفة المسـيحية في العـراق، وعلى المجتمع العراقي ككل.

- استكشـاف التحديـات الحاليـة وتحليـل التحديات التي تواجه المكون المسيحي المتبقية في العراق بعد موجات الهجرة المتعاقبة.

- تقييم التأثيرات الثقافية والدينية بدراسة تأثير الهجرة على الهوية الثقافية والدينية للمسـيحيين العراقيين في الداخل والخارج.

-استشـراف المستقبل بتقديم رؤية استشرافية حول الآثار المسـتقبلية في المحتملة لاستمرار هجـرة المسـيحيين من العـراق على النسـيج الاجتماعي والديني في البلاد.

-اقتراح توصيات أو وضع توصيات ومقترحات قد تسهم في الحد من هجرة المكون المسيحي، وتعزيز التعايش السلمي وحماية حقوق الأقليات الدينية في العراق.

أسئلة الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة على مجموعة من الأسئلة الرئيسة، وهي:

- ما هي الأسباب الرئيسة التي دفعت المكون المسيحي في العراق إلى الهجرة خلال العصر الحديث؟

- كيف أثرت الظروف السياسية والاقتصادية والأمنية في العراق على قرار المسيحيين بالهجرة؟

- ما هو حجم الهجرة المسيحية من العراق وما هي التأثيرات الديموغرافية لهذه الهجرة على التركيبة السكانية للمكون؟

- ما هي التحديات التي تواجه المكون المسيحي المتبقية في العراق بعد موجات الهجرة؟

- كيف أثرت الهجرة على الهوية الثقافية والدينية للمسيحيين العراقيين سواء داخل العراق أو في المهجر؟

- ما هي الآثار المحتملة لاستمرار هجرة المسيحيين على المجتمع العراقي ككل في المستقبل؟

- ما هي السياسات والإجراءات التي يمكن اتخاذها للحد من هجرة المسيحيين وتعزيز تواجدهم في العراق؟

دراسات سابقة:

١- دراسة حمود (٢٠١٤) بعنوان سوريا: صعود الجهادية وصراع على المسيحية

تهدف هذه الدراسة إلى استعراض أوضاع المسيحيين في سوريا بعد عام ٢٠١١، أذ تسعى الورقة إلى الإجابة عن واقع المسيحيين في ظل الخريطة الجهادية وتأثيراتها على وجودهم. كما تقدم الورقة خلفية عامة حول التطورات التي طالت المسيحيين وتفاعلهم مع الأحداث الجارية. كما تناقش إشكالية دعم المسيحيين للنظام السوري، وفقاً لرؤية الكاتب، وما يرتبط بذلك من تحليلات قد لا تستند إلى المعطيات الحقيقية للوضع المسيحي غالباً ما يتهم المسيحيون في سوريا بالوقوف إلى جانب النظام الحاكم والانخراط في تحالف أطلق عليه اسم «تحالف الأقليات»

٢- دراسة بريتي تانيجا (٢٠١٥) بعنوان صهر ونزوح واستئصال: جماعات الأقليات في العراق منذ عام ٢٠٠٣

يسلط هذا التقرير الضوء على القضايا التي تواجه اللاجئين العراقيين المهجرين خارج البلاد والنازحين داخلياً. يرى التقرير أن أزمة النزوح قد وصلت إلى ذروتها، مشيراً إلى التوقعات بعودة اللاجئين واندماجهم في مجتمع متأثر بالحرب وانعدام الأمن والصراع الأهلي والمصاعب الاقتصادية. كما يشير إلى استبعاد عودة اللاجئين العراقيين من الخارج بأعداد كبيرة، و يوضح التقرير أيضاً أن استمرار النزوح داخل العراق وخارجه قد يعزز الهجرة الخارجية إلى أماكن بعيدة. كما يناقش التقرير باختصار تأثيرات النزوح واللجوء على الدول والمؤسسات المعنية بشؤون اللاجئين والمنظمات غير الحكومية، موصياً بإجراء دراسة دقيقة للخيارات السياسية لتجنب الأخطاء التي ساهمت في أزمة الهجرة في عامي ٢٠٠٧ و٢٠٠٦.

٣- دراسة جرجس، نائل (٢٠١٦) بعنوان المسيحيون في الشرق العربي: نحو المواطنة

تناقش هذه الدراسة وضع المسيحيين في المجتمعات العربية، وتسلط الضوء على التحديات التي تواجههم بسبب انتماءاتهم الدينية أو العرقية. ويشير الباحث إلى أن المسيحيين يعيشون في شبه عزلة عن محيطهم الاجتماعي والثقافي، مما يعزز من شعورهم بالغربة. ويضيف أن الفشل في تعريف مصطلح الأقلية في القانون الدولي ساهم في تعرض هذه الجماعات للتمييز والعزلة. يسلط الباحث الضوء على واقع المسيحيين في الشرق وتأثير الموروث الديني في حياتهم ووجودهم وهويتهم، ويستعرض الضمانات القانونية المختلفة لحقوق الإنسان بشكل عام وحقوق الأقليات المسيحية بشكل خاص.

٤- دراسة معهد واشنطن السياسة الشرق الأدنى (٢٠١٦) بعنوان سهل نينوى ومستقبل الأقليات في العراق

تناولت هذه الدراسة مستقبل الأقليات في العراق في ضوء انتشار تنظيم الدولة الإسلامية، الذي قام بحملة إبادة ضد الأقليات في سهل نينوى بعد سيطرته على الموصل في صيف عام ٢٠١٤، شملت هذه الحملة المسيحيين واليزيدين وكانت واحدة من أسوأ موجات الإبادة في تاريخ يمتد لأكثر من ألف عام نتيجة لهذه العمليات تجددت الدعوات لمزيد من الحكم الذاتي، وعبر العديد من القادة المسيحيين اليزيدين التركمان وغيرهم من العراقيين عن دعمهم لإقامة إقليم يضم حصراً أقليات شمال العراق، مما قد يساعد في حماية هذه المجتمعات المهددة وتسهيل تعويضات مقابل خسارة الأراضي والثروات والممتلكات.

المبحث الأول

الأقليات في العراق.

يشمل مفهوم الاقليات في العراق مختلف الجماعات العرقية والدينية الاكراد والاشوريين المعروفين باسم (الكلدان الاشوريين) والتركمان العراقيين الذين يمثلون اكبر ثلاث أقليات غير العربية في البلاد وغيرها من الجماعات العرقية الصغيرة التي تشمل الأرمن والشبك واليزيدية والصابئة واعداد صغيرة من البدو الإيرانيين واليهود والاذربيجان والجورجيين والمسيحين والصابئة واليهود وهذة المجموعات لم تتمتع بوضع متساوي مع غالبية السكان العرب في جميع انحاءتاريخ العراق فضلاً عن ذلك كون العراق واحد من اكثر البلدان المتعددة الأعراق والديانات في الشرق الأدنى [1]

الأقلية المسيحية في منطقة الشرق الأوسط نشأت منذ القدم في قلب العالم العربي، حيث تميزت المنطقة بتعددية إثنية ودينية وقومية، ما منحها طابعاً فريداً من التآلف بين مختلف الأديان والمذاهب، ورغم التوترات السياسية والأمنية التي شهدتها المنطقة عبر التاريخ، التي أثرت سلباً على تعداد الأقليات الدينية، ظل المسيحيون في الشرق، إلى جانب شركائهم من أتباع الديانات الأخرى، مساهمين في بناء الحضارة العربية الإسلامية، حيث حافظوا على تراثها وأثروا لغتها وشاركوا في القضايا الوطنية الكبرى.

فضلاً عن ذلك ازدياد نزوح المسيحيين، إلا أنهم ظلوا جزءاً لا يتجزأ من تاريخ وحاضر المنطقة. ولكن مع الأحداث الأخيرة في بعض

الدول العربية، باتت المسيحية في الشرق تعيش في حالة من القلق المتزايد، وخاصة في مصر، ولبنان وسوريا، والعراق، وفلسطين.[٢]

العربية، على النحو الآتي:

أولاً: ظهور الديانة المسيحية وانتشارها في الوطن العربي.

شهدت المدن الفلسطينية ظهور الديانة المسيحية لأول مرة خلال العهد الروماني. وبحسب الإنجيل، ولد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام في بيت لحم، في الفترة الأخيرة من حكم هيرودوس، الذي أمر بقتل كل طفل يولد في بيت لحم خلال تلك السنة خوفاً من أن يكون الملك الذي يخلفه لذلك هربت مريم وابنها إلى مصر برفقة يوسف النجار، وتوفى هيرودوس بعد أربعين عاماً من الميلاد، وبعد علمها بوفاة الملك، عادت السيدة مريم بابنها إلى الناصرة في فلسطين، حيث نشأ المسيح على حب الخير ومساعدة المحتاجين، ما جعله محبوباً بين الناس[٣] ، كان المسيح يلتزم بتقليد الاحتفال بعيد الفصح في هيكل القدس كأي يهودي متدين، لكنه لم يكن راضياً عن تصرفات رجال الهيكل من الأحبار، مما دفعه إلى الشعور بضرورة إصلاح الأمور من خلال تصحيح المفاهيم التي كانت قد انحرفت حسب رأيه، كان يؤلمه الصراع الشديد بين زعماء الفريسيين والصدوقيين في القدس، وغالباً ما كان يوجه لهم الانتقادات، خصوصاً عندما كان يلاحظ جشعهم وحبهم المفرط للمال[٤]

ثانياً: ظهور الديانة المسيحية .

تعرف المسيح في صغره على أعمال ابن خالته يوحنا سيدنا (يحيى بن زكريا) الذي عمده بماء نهر الأردن بعد ذلك، بدأ المسيح يعظ ويرشد في القرى اليهودية، متبعاً نهج يوحنا وتوسع المسيح في وعظه وتعليمه، واختار عدداً من التلاميذ يكونوا أقرب المقربين إليه وينقلوا رسالته إلى العالم على الرغم من أن الجماهير المتحمسة كانت ترى فيه الملك الذي يمكن أن يتولى العرش، إلا أن المسيح كان يهتم باحتياجات الجنس البشري بأكمله، فقد قام بمعظم خدماته في الشمال الغربي من بحيرة طبرية، حيث بدأ دعوته العلنية وهو في الثلاثين من عمره، وفقا الإنجيل أوقا، عندما شعر بيلاطس بخطر تعاليم المسيح، حاول قتله كما قتل يوحنا المعمدان، عندها، قرر المسيح أن ينقل نشاطه إلى القدس، حتى يقتل هناك من باريحا وبيت عنيا (العزرية) التي اختارها لتكون مكان إقامته، حيث كان يقضي النهار في القدس ويعود في المساء إلى بيت عليا.[٥]

ثالثا: هبوط المسيح في القدس.

في عهد الصبح، كانت القدس أكبر وأوسع مما كانت عليه في زمن سليمان الحكيم، حيث ازدادت أعداد سكانها بشكل كبير، وأصبحت المدينة تعكس السعة والثراء. ومع ذلك، كانت منطقة الهيكل تعاني من تصرفات لا ترضي الرب ولا العقل السليم، مما ساهم في ظهور المسيح هبط المسيح إلى القدس، التي كانت تعرف في عهده باسم أورشليم، لأول مرة في فترة طفولته، ثم هبط إليها ثلاث مرات بعد بدء رسالته فكانت الزيارة الأولى في الثامن عشر من شهر تشرين الأول عام ٢٨ ميلادي، ثم تبعها زيارة أخرى بعد شهرين في كانون الأول من نفس السنة، في المرة الثالثة، ثم تم اعتقاله ومحاكمته، وحكم عليه بالإعدام، ومن المعروف لدى الكثيرين أن الذي اعتقله وأدانه وصلبه كان الوالي الروماني بيلاطس البنطي، الذي اتهم بالظلم وعدم التسامح والاستبداد، ومع ذلك، تشير الأسفار المختلفة إلى أن السبب الحقيقي في معاناة المسيح كان اليهود الذين نشأ بينهم، وليس الرومان.

عندما بدأ الصبح تعليمه، كان في الثلاثين من عمره، ولم تكن تعاليمه ذات طابع سياسي، ولم يكن يستهدف السلطة الرومانية التي كانت تحكم البلاد في ذلك الوقت بدلا من ذلك، كان يهدف إلى إصلاح المجتمع الذي يعيش فيه وإنقاذه من الشرور، كان المسيح يعرف اليهود جيداء خاصة سكان أورشليم، وامتاز بانتقاداته لهم، كان يعبر عن كراهيته لهم ويشير إلى أنهم هم السبب في معاناته.[٦]

تعد المسيحية ديانة سماوية جاءت على لسان المسيح، الذي بشر بدين عبادة الله الواحد الأحد، وهو رب البشرية جمعاء. انتقلت هذه الديانة إلى شبه الجزيرة العربية عبر التجارة التي كان يقوم بها التجار العرب مع بلاد الشام والعراق، حيث جلب بعض التجار المسيحيين إلى مدن الحجاز واليمن والبحرين على هذه الطرق، كانت هناك أديرة تستعمل كمحطات راحة وتزود بالماء والطعام، ومع مرور الوقت، انتشرت المسيحية بين العديد من القبائل العربية، وتمكنت من الوصول إلى مكة حيث اعتنق بعض رجالها المسيحية.[٧]

المسيحية وتجديد علاقة الإنسان بالله المسيحية قدمت رؤية جديدة في علاقة الإنسان بالخالق، حيث جندت مفهوم العلاقة بين المخلوق وخالقه، فقد كان ينتظر ظهور إيمان جديد يعزز العلاقة بين المخلوق والله وأيضاً بين المخلوق وأخيه المخلوق. أعلن المسيح في خطابه الأول على جبل التكوين عن دين جديد مبني على عقيدة جديدة، وشريعة جديدة، وحياة دينية جديدة يعلم أن الله فوق كل الصفات، وأن الإنسان ليس عبداً بل هو ابن؛ حيث حول الدين من علاقة عبد بسيده إلى علاقة ابن بوالده.

فالعلاقة بين الإنسان والله أصبحت علاقة ابن بأب سماوي. بناء على ذلك، أصبحت الشريعة التي تربط المخلوق بخالقه، أو المخلوق بأخيه المخلوق، شريعة المحبة والأخوة جعلت المحبة روح الشريعة الإنجيلية منذ أول وعظة، ونسجت الحياة المسيحية معها، كما في فاتحة الإنجيل البانا الذي في السماوات، التي تقدس اسم الله الأب، وتطلب أن يأتي ملكوته، وأن تفعل مشيئته على الأرض كما في السماء، وقد أسس المسيح الحياة الدينية الجديدة على الإيمان بهذه الأبوة الإلهية، وهذه النبوة الإنسانية، وعلى العمل بهذه المحبة النبوية، الأخوة لكل إنسان.

أعطى المسيح مثالاً للحياة المسيحية الإيجابية بعبارته: (كونوا كاملين كما أن أباكم الذي في السماوات هو كامل، وكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم، فافعلوه أنتم بهم فإن هذه هي الناموس والأنبياء) وقد انتشرت المسيحية في منطقة بين النهرين بشكل سريع وملحوظ وتباينت الآراء حول كيفية دخولها إلى هناك، ومن ساهم في نشرها، قال بعضهم إن توما هو من أدخل المسيحية إلى الجزيرة، بينما قال آخرون إنها دخلت مع اداي وماري، والبعضهم الآخر رجح بارسابا، وفقا لتقليد الكنيسة، دخل الإيمان المسيحي إلى هذه المنطقة زمن المسيح، حيث ذكرت المصادر أن المسيحية كانت منتشرة بعد صعود المسيح إلى السماء بنحو عشرين عاماً، وكان هناك أيضا ذكر المسيح يسانيوس الذي تواصل مع أمر ملك إديسا (الرها)، حيث طلب أبجر من المسيح أن يشفيه من مرضه فرد عليه المسيح بأن طوب إيمانه ووعده بإرسال أحد تلاميذه واستمرت المسيحية في الانتشار خلال تلك الفترة دخول المسيحية إلى العراق وانتشارها في العالم

العربي عندما دخلت المسيحية إلى العراق في القرنين الأول والثاني الميلاديين، اعتنقها العديد من أبناء المنطقة، وأصبحت ديناً معتمداً لدى العديد من الملوك والشخصيات وقد بنيت الأديرة والكنائس في العراق وفي محيطه، وكان قبل ظهور المسيحية، سكان العراق يعتنقون ديانات متنوعة، مثل الديانة الكلدانية القديمة، واليهودية، والمزدكية، وعبادة القمر، وعشتار، والعزى.[٨]

كانوا الملوك الساسانيون قبل عهد شابور الثاني (٣٣٩) - ٣٧٩م) يتخذون موقفاً معادياً تجاه المسيحية، لكنهم لم يضطهدوا المسيحيين بشكل كبير لم تكن المسيحية تعارض حكمهم في العراق، ولذلك لم يعروا اهتماما كبيرا لنشرها ما دامت لا تتعارض مع سلطتهم، هذا الوضع ساهم في سرعة انتشار المسيحية بين القبائل في الجزيرة العربية، مثل قبائل تميم، ربيعة، تغلب قريش، الخزرج، وكندة، فضلا عن قبائل التنوخ العربية التي قدمت من الجزيرة واستوطنت العراق في القرن الثالث الميلادي.

وقد أسس الملك الساساني هرمز بهرام الأول (٢٧٢) - (٢٧٣) أسس مستعمرات في مناطق مختلفة، بما في ذلك منطقة العراق، بعد الحروب مع الرومان الذين كانوا يعتنقون المسيحية، كان بين هؤلاء الرومان عدد من السوريين الذين تخصصوا في الفن والهندسة والطب، واستعملهم الساسانيون في شؤونهم.[٩]

مع نهاية القرن الثالث الميلادي، أصبح غالبية سكان العراق مسيحيين، وبرزت المدينة في تلك الفترة كمركز للتقدم والازدهار، خاصة في عهد الملك عمرو بن عدي بن لخم الذي أسس دولة المناذرة الشهيرة، وتولى الملك في العراق بعده أمرؤ القيس الأول (٢٨٨ - ٣٢٨م) الذي كان أول من اعتنق المسيحية من ملوك العراق، تلاه النعمان الأول (٤٠٣ - ٤٣١) الذي أسس قصر الخوريق الشهير، وازدهرت المدينة أيضاً في عهد المنذر الثالث بن ماء السماء، وعمرو ان هند (٥٦٣ - ٥٧٨م). سقطت الأسرة اللخمية بنهاية النعمان الثالث (٥٨٥ - ٦١٣م) الذي اله كسرى كانت العراق مركزاً مهماً لنشر المسيحية بين العرب من هناك انطلق العديد من المبشرين مثل الراهب سمعان العامودي (ت (١٥م) وشمعون الأرميني (ت ٥٤٠م) إلى أجزاء من الجزيرة العربية، مثل البحرين وقطر، حيث كان معظم مسيحيي العراق من النسطوريين الذين كانوا على خلاف مع الرومان البيزنطيين وقد أدت الصراعات بين الإمبراطوريات الرومانية والفارسية إلى تأثيرات كبيرة على انتشار المسيحية.[١٠]

إن انتشار المسيحية في الدول العربية منذ القرن الرابع الميلادي، شكلت الديانة الرئيسة في منطقة الشرق الأوسط والتي تعد مهد المسيحية، واستمرت المسيحية في هذه المنطقة حتى الفتوحات الإسلامية، حيث تراجعت نسبة المسيحيين إلى حوالي ٥٪ مقارنة - ٢٠٪ في بداية القرن العشرين، اليوم يعيش المسيحيون العرب في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، سواء أكان من خلال النسب العربي من خلال التأثير الثقافي والعروبة.

توجد تجمعات مسيحية ملحوظة في سوريا، الأردن، فلسطين، والعراق، فضلاً عن دول مجاورة مثل إسرائيل، تركيا، وإيران، ويقدر عند المسيحيين في جنوب السودان بأكثر من مليون، لكنهم لا يحسبون ضمن سكان الشرق الأوسط في دول الخليج العربي، وتوجد أقليات مسيحية في

الكويـت والبحرين، بينمـا تأتي معظم الجاليات المسـيحية الكبـرى فـي المنطقـة مـن العمالة الوافدة.

في المغـرب العربي، حيث توجـد تجمعات مسـيحية ذات أصـول أوروبيـة، هنـاك أيضاً مجتمعـات مسـيحية محليـة، تشـمل العـرب والأمازيغ فضلاً عن ذلك ،كما لعب المسيحيون في الشـرق الأوسـط دورا بارزا في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولهم تأثير كبيـر في النهضـة العربيـة في القرن التاسـع عشر.[١١]

وفقا لإحصائيات مركـز الأبحاث الأمريكية لعـام ٢٠١١، يشـكل الكاثوليـك الشـرقيون حوالي ٤٣,٥٪ من مسـيحيي الشرق الأوسط، بينمـا يشـكل الأرثودكـس الشـرقيون حوالي ٤٣,٠٪، والبروتسـتانت حوالـي ١٣,٥٪. واتسـتمرت المجتمعات المسـيحية الكبيرة في لبنـان، وسـوريا، والعراق، وإيـران، وتركيا، والأردن، حيـث تجاوز عددهـم ٣ ملايين، في مصر والمغـرب العربي، ويوجـد أكثر من ٨ ملاييـن مسـيحي، مع بـروز الكنيسـة القبطية الأرثوذكسـية فـي مصـر وليبيا، بينمـا تهيمن الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية في الجزائر وتونس والمغرب، كما توجد جاليات مسـيحية وافدة في شـبه الجزيرة العربية، مع أكبر تجمع مسيحي في المملكة العربية السعودية.[١٢]

المبحث الثاني

هجرة المسيحيين من العراق .

كان ظهـور تيـارات الإسـلام السياسـي في بعـض دول المنطقة العربية تأثيـراً بارزً على زيادة المخاوف لدى المسـيحيين العرب، حيث تجسـد ذلك في حـالات محدودة مـن الهجرة، ومع توسـع الجماعـات التكفيرية وسـيطرتها على مناطق واسـعة مـن الأراضي السـورية والعراقيـة، ودمـار التراث الثقافي المسـيحي، تصاعـدت حالات الهجـرة القسـرية للعائلات المسـيحية، ومن أبـرز تلك الحـالات ما حدث فـي سـوريا ومناطـق الموصل وسـهل نينوى فـي العراق، خاصـة بعد إعلان تنظيـم الدولة الإسـلامية في العراق والشـام إقامة ما يسـمى بدولـة الخلافة الإسـلامية في شـمال سـوريا وشـرق العراق يوم ١٠ يونيـو ٢٠١٤ تزامن ذلك مع مواقف عربية لم تتجاوز حدود الإدانة، مع ترحيب وتشجيع على فتح باب الهجرة ومنح حق اللجوء السياسـي، بدلاً من معالجة الأزمة والتصـدي الإرهـاب لتنظيم الدولة الإسـلامية والسعي لإبقائهم ضمن مجتمعاتهم العربية عند تحليل هذه الظاهرة، يجب التأكيد على أن مشكلة هجـرة المسـيحيين مـن العراق هـي جزء من أزمة الهجرة المنظمة التي يعاني منها الشـعب العراقـي بمكوناته كافة، وفي هذا السـياق، فإن الولايـات المتحـدة الأمريكيـة سـعت للترويج للهجـرة كحـل للأقليـة المسـيحية فقـط وليس للشعب العراقي بكامله معتقدة أن المسيحيين لا يمكنهـم التعايش في ظـل التصادم بين الأديان، بناء على نظرية صراع الحضارات التي عدها صموئيـل منتنجتون إحـدى الأطروحات التي تتنبأ بصراعات قادمة.[١٣]

فضلاً عن ذلك أن الهجرة أصبحت ظاهرة عامة تؤثر على شعوب المنطقة العربية، فإن انعكاساتها على الأقليات، بما في ذلك المسيحيين، تكون أكثر خطورة، فاستمرار الهجرة يعنى تصفية واختفاء المكون الصبحي والقضاء على التنوع الديني الذي يعد من سمات وميزات المجتمعات العربية.

كان هجرة الأقلية المسيحية من العراق بعد عام ٢٠٠٣ بعد ان انتشر المسيحيون في العراق في معظم المحافظات تقريباً، لكن تركز وجودهم في العاصمة بغداد.

وقد تعرضت مصالحهم للهجوم واستهدفت الكنائس في البصرة ومصالح اليزيديين في بغداد. واستمرت الهجمات، وبدأت الموصل يفقدان وجود اليزيديين بشكل تدريجي، مع تصاعد العنف خلال السنوات ٢٠٠٥-٢٠٠٩ والأحداث السياسية والاجتماعية في العراق، بما في ذلك التقسيمات الطائفية والتوترات بين الشيعة والسنة،التي أدت إلى تغييرات ديموغرافية بارزة في مناطق عدة مثل بغداد والموصل والبصرة فكان العنف الطائفي أجبر العديد من الأسر على النزوح إلى مناطق أخرى بحثا عن الأمان، مما حول العديد من المناطق إلى مناطق مقسمة على أساس طائفي بعد الغزو الأمريكي، وشهدت مناطق مثل دهوك واربيل تغييرات ديموغرافية ملحوظة نتيجة التنافس الطائفي في محافظة دهوك، التي كانت قد تعرضت التنوع طائفي، وشهدت تغييرات كبيرة نتيجة النزاع الطائفي بين الشيعة والسنة، مما أدى إلى أحداث قتل متبادلة بين الجماعتين وفي عام ٢٠١٤، سيطر تنظيم الدولة الإسلامية على الموصل، لكن الجيش العراقي استطاع تحريرها لاحقا، وعلى الرغم من الاتهامات بارتكاب انتهاكات ضد السكان.[١٤]

أن العوامل السياسية والاجتماعية التي ساهمت في هجرة العراقيين المسيحيين تشمل الأوضاع الاقتصادية الصحية الناتجة عن الحصار والحرب، فضلاً عن التهديدات الأمنية والتفجيرات الإرهابية التي استهدفت الأقليات المسيحية، مما دفع الكثيرين إلى الهجرة بحثا عن الأمان والاستقرار.

أن من أسباب هجرة الطائفة المسيحية من العراق في العصر الحديث العنف الطائفي والإرهاب إذ تعرضت الطائفة المسيحية في العراق الى عمليات عنف مباشر من قبل الجماعات المتطرفة، مثل تنظيم القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، التي استهدفت الكنائس والمجتمعات المسيحية. هذا العنف أسفر عن قتل واختطاف العديد من الأفراد، مما دفع الكثيرين إلى الهجرة بحثا عن الأمان.

التهجير القسري والتهديدات إذ شهدت مناطق وجود المسيحيين عمليات تهجير قسري من قبل الجماعات الإرهابية، التي سعت إلى تفريغ المناطق من السكان المسيحيين، إلى جانب تهديدات مستمرة بالعنف، ساهم في دفع العديد من المسيحيين إلى مغادرة العراق.

كما إن الضغوط الاقتصادية والسياسية والأزمات الاقتصادية الناتجة عن الحصار والغزو الأمريكي فضلاً عن الاضطرابات السياسية في العراق، أدت إلى تدهور الأوضاع المعيشية للمسيحيين.

وكانت هذه الأزمات تنفع الكثيرين بالبحث عن فرص حياة أفضل في دول أخرى. والتوترات الطائفية والصراعات الداخلية والنزاعات الطائفية بين الشيعة والسنة والصراعات الداخلية التي شهدتها البلاد، أثرت بشكل كبير على الأقليات المسيحية. هذه الصراعات أدت إلى تفاقم الوضع الأمني وتدهور الظروف المعيشية، مما دفع المسيحيين إلى الهجرة.[١٥]

أسباب هجرة المكون المسيحي من العراق في العصر الحديث.

- العنف الطائفي والإرهاب إذ شهد المكون المسيحي في العراق موجات من العنف المباشر والهجمات الإرهابية، خاصة بعد عام ٢٠٠٣، فقد استهدفت الجماعات المتطرفة الكنائس والمراكز المسيحية، مما أسفر عن قتل واختطاف العديد من أفراد الطائفة،وقد تسببت هذه الهجمات في تهجير الكثيرين وتدمير ممتلكاتهم.

- التهديدات الأمنية إذ تعرضت مناطق تواجد المسيحيين في العراق للتهديدات الأمنية المستمرة، بما في ذلك الهجمات المتكررة من قبل الجماعات الإرهابية مثل القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، هذا العنف أدى إلى تدمير بيوتهم وممتلكاتهم، مما دفعهم إلى مغادرة البلاد بحثا عن الأمان.

- الاضطهاد والتمييز إذ واجه المسيحيون في العراق اضطهادا وتمييزا على أساس ديني، مما أثر على حياتهم اليومية وأمانهم الشخصي هذا التمييز زاد من شعورهم بعدم الاستقرار والتهديد، مما ساهم في قرارهم بالهجرة.

التغيرات الديموغرافية التي أدت الى النزاعات الطائفية والصراعات السياسية إلى تغييرات ديموغرافية بارزة في مناطق العراق كما أن النزوح والتهجير القسري نتج عنه تغييرات في التركيبة السكانية، مما أثر على الوجود المسيحي في العراق بشكل كبير.[١٦]

معالجة أسباب هجرة المكون المسيحي تعزيز الأمن والحماية.

- يجب تعزيز الإجراءات الأمنية لحماية دور العبادة والمجتمعات المسيحية من الهجمات الإرهابية، يتطلب ذلك تعاونا فعالا بين الجهات الحكومية والقوات الأمنية والمجتمعات المحلية لضمان حماية المسيحيين وممتلكاتهم.

- توفير الدعم الإنساني وتقديمه للنازحين والمهجرين، بما في ذلك توفير المساعدات الإنسانية والمواد الأساسية، التي تساعد في تخفيف معاناتهم وتسهيل إعادة توطينهم في مناطق أكثر أماناً

الترويج للتسامح والتعايش السلمي بتعزيز ثقافة التسامح والتعايش السلمي بين مختلف الطوائف والمكونات الاجتماعية في العراق من خلال برامج التوعية والتربية على التسامح، التي يمكن من خلالها تقليل التوترات الطائفية وتعزيز الاستقرار.

- دعم المبادرات السياسية التي تسعى لتحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي في العراق وتحسين الأوضاع السياسية والاقتصادية التي يمكن أن يقلل من الأسباب التي تدفع المسيحيين إلى الهجرة.[١٧]

كيفية التصدي لهذه الأسباب

- تطوير استراتيجيات مكافحة الإرهاب فيجب تطوير استراتيجيات فعالة لمكافحة الإرهاب وتفكيك الجماعات المتطرفة التي تستهدف المسيحيين ويشمل ذلك تحسين القدرات الاستخباراتية وتنسيق الجهود الأمنية بشكل أفضل.

- توفير برامج إعادة التوطين بإنشاء برامج إعادة توطين فعالة لمساعدة المسيحيين

النازحين على العودة إلى مناطقهم بأمان أو الانتقال إلى مناطق أكثر استقرارا ويشمل ذلك توفير الدعم المالي واللوجستي وإعادة بناء البنية التحتية في المناطق المتضررة.

- تعزيز وتشجيع الحوار بين الأديان والمجتمعات المختلفة في العراق.

- تنظيم مبادرات وورش عمل تشجع على فهم الآخر وتقدير التنوع الديني والثقافي.

- تقديم الدعم الدولي من خلال منظمات الأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان،التي يمكن أن تسهم في تحسين الأوضاع الأمنية وتوفير المساعدات الإنسانية للمجتمعات المسيحية المتضررة.

من خلال معالجة هذه الأسباب والتصدي لها بشكل فعال، يمكن المساهمة في تحسين الوضع الحالي للطائفة المسيحية في العراق وتعزيز استقرارهم وأمانهم.[١٨]

الخاتمة

تعد هجرة الطائفة المسيحية من العراق في العصر الحديث نتيجة تداخل مجموعة من العوامل المعقدة، التي تشمل العنف الطائفي والإرهاب، التهديدات الأمنية، الاضطهاد والتمييز، والتغيرات الديموغرافية. هذه العوامل أدت إلى تدهور الأوضاع الأمنية والإنسانية للمسيحيين، مما دفع العديد منهم إلى مغادرة البلاد بحثا عن الأمان والحماية.

ولمعالجة هذه الأزمة بفعالية، من الضروري تبني استراتيجيات متعددة الجوانب تتضمن تعزيز الأمن والحماية، وتوفير الدعم الإنساني، الترويج للتسامح والتعايش السلمي، ودعم المبادرات السياسية التي تسعى لتحقيق الاستقرار فضلاً عن ذلك، يجب تطوير استراتيجيات مكافحة الإرهاب، وتوفير برامج إعادة التوطين، وتعزيز الحوار بين الأديان، والحصول على الدعم الدولي. إذ إن التصدي لهذه الأسباب بشكل شامل يتطلب جهودًا منسقة بين الحكومة، المجتمع الدولي، والمنظمات الإنسانية لضمان حماية حقوق المسيحيين واستقرارهم في العراق.

من خلال تبني هذه التدابير، يمكننا المساهمة في بناء بيئة أكثر أمانا وشمولية، تعزز التنوع الديني والثقافي وتضمن حقوق الأفراد في المجتمع العراقي جميعهم.

الهوامش

١- لقاء جمعه (٢٠٢٢). الأقليات الدينية في العراق، ، الجامعه المستنصرية، مجلة العميد، ص ١٤٧- ١٤٨

٢- رابح، مرابط (٢٠٠٩). أثر المجموعة العرقية على استقرار الدول: دراسة حالة كوسوفو. أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر. ص٥٥

٣- مركز الأبحاث الأمريكي بواشنطن (٢٠١١). المسيحيون في العالم: تقرير حول حجم السكان المسيحيين وتوزيعهم في الشرق الأوسط، ١٩ كانون الأول.

4-Fabrice Balanche (2015). Syria Threatens Ethnic Cleansing. Washington Institute for Near East Policy.

٥- أحمد، حسين الحاج علي (٢٠٠٣). تأثير الثقافة باستخدام السياسة: الولايات المتحدة وتجربة العراق. مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٢٩٤. ص٨٧

6-Donald Leo, SJ (1990). The Seven Ecumenical Councils and Their Impact on Middle Eastern Christians. Liturgical Press/Glazier.

٧- بتراوس، جيمس (٢٠٠٩). الحرب الأمريكية على العراق: تدمير حضارة. مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت. ص٩٨

٨- حافظ، طالب حسين (٢٠٠٩). العنصرية السياسية في العراق. مجلة دراسات دولية، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، العدد ٤١. ص٧٥

٩- حنف، ساري (٢٠١٤). الهجرة القسرية في الوطن العربي: إشكاليات قديمة جديدة. بيروت: مركز الوحدة العربية، مجلة المستقبل العربي، العدد ٤٢٧. ص٦٨

١٠- دومل، خضر (٢٠١٥). الإيزيدية والأقليات الدينية العراقية بعد داعش: رؤية مستقبلية. مجلة الثقافة الاجتماعية، العدد ٤٠، مركز الثقافة الاجتماعية، دهوك، إقليم كردستان العراق. ص٧٧

١١- داوود، هشام (٢٠١٤). الحرب ومسيحيو العراق. المدى البغدادية، العدد ٣١٤٠.

١٢- الربيع، كوثر عباس (٢٠١٠). الاختراق الأمني الأسرابيلي في العراق ومواقف دول الجوار الإقليمي. مركز العراق للدراسات، مجلة شؤون عراقية، العدد الرابع.

١٣- رشدي، سعيد (٢٠٠٣). الوجود المسيحي في الشرق الأدنى والأراضي المقدسة. مجلة الهلال، العدد ١، المجلد ١١١. ص٥٢

١٤- محمود، موفق وكنعان، قسطنطين (٢٠٠٦). التوزيع الجغرافي لمسيحيي محافظة نينوى: دراسة أنثروبولوجية. مجلة دراسات موصلية، تشرين الثاني، العدد ١٤.

١٥- منصور، جوني (٢٠٠٥). المستجدات الدولية وتأثيرها على أحوال المسيحيين العرب في الشرق الأوسط. مجلة اللقاء، العدد ٣، المجلد ٢٠، مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأراضي المقدسة، القدس.

١٦- هارون، محمد (٢٠١١). قضايا الأقليات الدينية والعرقية والطائفية ومستقبلها في العراق. مجلة أوراق الشرق الأوسط، المركز القومي لدراسات الشرق الأوسط، القاهرة، العدد ٥٤.

١٧- تقرير لمنظمة هيومن رايتس ووتش (العراق – زيجات قسرية وإسلامية للإيزيديين)، تشرين الأول ٢٠١٤.

١٨- الجبوري، نظلة (٢٠١٠). قراءة في ماهية النظام السياسي في عراق التغيير. المؤتمر العلمي السادس للمركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية.

المصادر

١- لقاء جمعة (٢٠٢٢)، الأقليات الدينية في العراق، الجامعة المستنصرية، مجلة العميد، من ١٤٧-١٤٩

٢- رابح، مرابط (٢٠٠٩). أثر المجموعة العرقية على استقرار الدول: دراسة حالة كوسوفو. أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر. ص٥٥

٣- مركز الأبحاث الأمريكي بواشنطن (٢٠١١). المسيحيون في العالم: تقرير حول حجم السكان المسيحيين وتوزيعهم في الشرق الأوسط، ١٩ كانون الأول.

٤- أحمد، حسين الحاج علي (٢٠٠٣). تأثير الثقافة باستخدام السياسة: الولايات المتحدة وتجربة العراق. مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٢٩٤. ص٨٧ .

٥- بتراوس، جيمس (٢٠٠٩). الحرب الأمريكية على العراق: تدمير حضارة. مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت. ص.٩٨

٦-حافظ، طالب حسين (٢٠٠٩). العنصرية السياسية في العراق. مجلة دراسات دولية، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، العدد ٤١. ص٧٥.

٧- حنف، ساري (٢٠١٤). الهجرة القسرية في الوطن العربي: إشكاليات قديمة جديدة. بيروت: مركز الوحدة العربية، مجلة المستقبل العربي، العدد ٤٢٧. ص٦٨

٨- دومـل، خضـر (٢٠١٥). الإيزيدية والأقليـات الدينية العراقيـة بعد داعـش: رؤية مسـتقبلية. مجلـة الثقافة الاجتماعيـة، العـدد ٤٠، مركـز الثقافـة الاجتماعية، دهوك، إقليم كردستان العراق. ص٧٧

٩- داوود، هشـام (٢٠١٤). الحـرب ومسـيحيو العـراق. المدى البغدادية، العدد ٣١٤٠.

١٠- الربيـع، كوثـر عبـاس (٢٠١٠). الاختـراق الأمني الأسرابيلي في العراق ومواقف دول الجوار الإقليمي. مركز العراق للدراسـات، مجلة شؤون عراقية، العدد الرابع.

١١- رشدي، سعيد (٢٠٠٣). الوجود المسيحي في الشرق الأدنى والأراضي المقدسـة. مجلة الهـلال، العدد ١، المجلد ١١١. ص٥٢

١٢- محمـود، موفـق وكنعـان، قسـطنطين (٢٠٠٦). التوزيع الجغرافي لمسـيحيي محافظة نينوى: دراسـة أنثروبولوجية. مجلة دراسات موصلية، تشرين الثاني، العدد ١٤.

١٣- منصـور، جونـي (٢٠٠٥). المسـتجدات الدوليـة وتأثيرهـا على أحوال المسـيحيين العرب في الشـرق الأوسـط. مجلـة اللقـاء، العدد ٣، المجلـد ٢٠، مركز اللقـاء للدراسـات الدينيـة والتراثيـة فـي الأراضـي المقدسة، القدس.

١٤- هـارون، محمـد (٢٠١١). قضايـا الأقليـات الدينية والعرقية والطائفية ومستقبلها في العراق. مجلة أوراق الشـرق الأوسـط، المركز القومي لدراسـات الشـرق الأوسط، القاهرة، العدد ٥٤.

١٥- تقريـر لمنظمـة هيومـن رايتـس ووتـش (العراق – زيجات قسـرية وإسـلامية للإيزيديين)، تشرين الأول ٢٠١٤.

١٦- الجبـوري، نظلـة (٢٠١٠). قراءة فـي ماهية النظام السياسـي في عراق التغيير. المؤتمر العلمي السـادس للمركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية.

المراجع الأجنبية:

1- Donald Leo, SJ (1990). The Seven Ecumenical Councils and Their Impact on Middle Eastern Christians. Liturgical Press/Glazier.

2- Fabrice Balanche (2015). Syria Threatens Ethnic Cleansing. Washington Institute for Near East Policy.

The migration of people from Iraq in the modern era Its causes, treatment, and how it works

A scientific study to address a problem in Iraqi society

lect.Dr. Safaa Ghanem Ibrahim.
Sunni Endowment Office/ Department of Religious Education and Islamic Studies.

Abstract

This study addressed the topic of the migration of the Christian community from Iraq in the modern era, shedding light on the causes and factors that led to this phenomenon and its social and demographic effects on Iraqi society. The main reasons were the escalation of sectarian violence, targeted terrorist attacks, and religious discrimination, which led to a deterioration in security and drove many Christians to migrate in search of safety and stability.

The study also discussed the demographic changes resulting from this migration, highlighting how traditional Christian areas in Iraq have seen a significant decline in the Christian population, which has impacted the overall demographic composition